نظرة جديدة للوقف في العربية– دراسة لغوية

أ.م.د. تماضر قائد الحاتمي
الباحثة زينب سجاد المشهدي
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

المقدمة:

لقد حَظِيَ علم الوقف بعناية اللغويّين العرب ،ولاسيما ممّن لقوا الأعراب وأخذوا عنهم اللغة .

ومن الموضوعات المهمة التي تناولها أولئك اللغويّين ظاهرة الوقف . فنصيب الوقف من تراثنا اللغويّ كبير ،فقد أفردت له كتب خاصة أو تجده في مباحث توزعت في كتب مختلفة ،ومنها :كتب علوم القرآن وكتب القراءات ،وكتب معاني القرآن وإعرابه ،وكتب التفسير ،وكتب العربية .

فقد اتجه اللغويّون إلى إقامة نظام حملته كتبهم ،ولم يكن هذا النظام بمعزل عن شرطه التأريخي ،ولا بمعزل عن الثقافة بما تحمل من إطار معرفي ،ومن عقائد وأحكام أثرت في نظرتهم ،فكان النظام النحويّ منجزًا عظيمًا لبشر .

ولكن نظامهم قام على المعرفة المنطقية التي ابتعدت عن الاعتقاد ؛ليحفظوا للمدّونة نزعتها المعرفية .فابتدعوا الأصول ،والقواعد ،ووسائل يستعين بها من يدخل في هذا الصراع من دون أثر لانتمائه ،أو عمّا يذود عنه .

وبعد التوكل على الله شرعت بكتابة هذا البحث ،وقد بُني البحث على مقدمة و مبحثين .

فكان المبحث الأول بعنوان (أهمية الوقف) وقد تضمن مطلبين الأول منهما بعنوان بين الوقف والسكون .وأما المطلب الثاني فكان بعنوان :السكون علاماته وأراء العلماء فيه .والمبحث الثاني كان بعنوان (فهم مفارق للوقف بالسكون) وقد تضمن مطلبين ،فكان المطلب الأول بعنوان :الخفة والثقل وعلاقتهما بالسكون

،أما المطلب الثاني فكان بعنوان أسباب القول بخفة السكون .ثم خاتمة تم فيها تثبيت أهم النتائج التي توصلت إليها ،وقائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول: أهمية الوقف:

تتضح أهمية الوقف برواية عديّ بن حاتم الطائي ،عندما سمع النبي الأكرم (صلى الله عليه واله) ،خطيبًا يقول :من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما ،ووقف .قائلًا :((بئس الخطيب أنت)) [١] .وكان السبب عدم معرفته أين يقف .

وقال الداني (ت:٤٤٤هـ): ((ففي هذا الخبر إيذان بكراهة القطع على المستبشع من اللفظ المتعلق بما تبّين حقيقته ،ويدل على المراد منه ؛لأنه عليه السلام إنّما أقام الخطيب لما قطع على ما يقبح إذ جمع بقطعه بين حال من أطاع ومن عصى ،ولم يفصل بين ذلك ،وإنما كان ينبغي له أن يقطع على قوله فقد رشد ،ثم يستأنف ما بعد ذلك ويصل كلامه إلى آخره فيقول :ومن يعصهما فقد غوى)) [٢].وهذا يعني أنّ الوقف هو القطع وهو الفصل.

وعندما سُئل إمام المتقين علي (عليه السلام) ،عن معنى الترتيل في قوله تعالى:﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾[٣] قال الترتيل :تجويدُ الحروفِ ومعرفةُ الوقوف [٤] .

وكان تفسير الإمام الصادق (عليه السلام) للآية الشريفة :﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[٥] إذ قال :((يُرتّلون آياته، ويتفهّمون معانيه...)) [٦] .

يتضح من ذلك أهمية الوقف في إيضاح المعنى بين التراكيب ،وأثر الإيقاع الصوتي في الربط بين الوقف والمعنى .

وعلى رأي باحث معاصر:((إنّ دراسة الوقف والابتداء في القرآن المجيد، هو جانب مهم في أداء التلاوة، وهو يوضح كيف وأين يجب أن ينتهي القارئ لآي القرآن، بما يتفق مع وجوه التفسير واستقامة المعنى وصحة اللغة وما تقتضيه علومها من نحو وصرف ولغة، حتى يستتم القارئ الغرض كلّه من قراءته، فلا

يخرج على وجه مناسب من التفسير والمعنى من جهة، ولا يخالف وجوه اللغة وسبل أدائها من جهة أخرى، وبهذا يتحقق الغرض الذي من أجله يُقرأ القرآن، ألا وهو الفهم والإدراك)) [٧].

ونستشف ممّا سبق أنّ الوقف هو القطع ،وهو يحدّد مواضع الفصل والوصل ؛لأنّ بمعرفته يفهم ويدرك القرآن فإذا استطاع القارئ مراعاة الوقف عند نهاية العبارة، فإنّه لا شكّ سوف يبدأ العبارة التي تليها على النحو الأكمل، فهو لا يستأنف إلاّ حينما يتمّ المعنى من جهة ،وبمّا لا يخالف اللغة وعلومها من جهة أخرى ،وهو ما حرصت عليه العرب في أداء عباراتها ،واهتمت له في كلامها ،فلم يُقصر الوقف على القرآن الكريم ؛لأنّ العربي لم يكن يعي الكيفية التي بها يقف ،ولا الاليات التي تحكّمت بهذه الوقوف ،فهو يصدر عن (لا شعور لغويّ) .

وكان للوقف وجود عند اللغويّين والنحويّين منذ بداية علم النحو ،ووضعه سيبويه (ت:١٨٠هـ) ضمن مجاري البناء بقوله :((هذا باب من مجاري البناء أواخر الكلم في العربّية وهي تجري على ثمانية مجار : على النصب ،والجّر ،والرفع ،والجزم ،والفتح والضمّ ،والكسر ،والوقف)) [٨] ،ويرى الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) ((إن العرب تقول في حروف المعجم كلها بالوقف))[٩] ،وذكره السيرافي (ت٣٦٨:هـ) ((والوقف على ذلك كله أكثر في كلام العرب من الإشمام والروم)) [١٠] .

وذكر الخوارزمي (ت:٣٨٧هـ) نقلًا عن الخليل بن أحمد الفراهيدي قوله: "إن الوقف لما بُني ساكنًا نحو: لم وقد وهل" وفسره بأنّ الخليل جعل للوقف علامة مثل بقية العلامات ،ولكن هي مختصة بالمبنى الساكن [١١]. فقد وضع الخليل ابن أحمد الفراهيدي طريقة لشكل العلامات ومنها علامة الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة والمدة والصلة والهمزة.

المطلب الأول: بين الوقف والسكون

لم يدم الوقف لقبًا على مجرى من مجاري البناء فقد حلّ السكون محلّه ،باعتبار أنّ الوقف ترك حركة الموقوف عليه ،وبما أنّ السكون من معاني الوقف ،سهّل تخصيصه دون غيره من مجاري البناء ،وذكر

الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) أنَّ سكون البناء يسمى وقفًا [١٢] .كما أشار ابن هشام (ت:٧٦١هـ) بقوله :((وأنواع البناء أربعة ؛أحدهما :السكون ،وهو الأصل ،ويسمّى أيضاً وقفاً ،ولخفته دخل في الكلم الثلاث ،نحو :هَلْ ،وقُمْ ،وكَمْ)) [١٣] .حيث قرن السكون بالحركات ،فجعله واحدًا منها .

وممّا لا خلاف فيه أنّ الوقف عند النحويّين هو البناء على السكون. ثم أطلقوه على سكون البناء ،وعلى الرغم من التكييف الصوتي للسكون فإنّ من النحويّين من عده من ضمن حركات الإعراب ؛لأنّه من الجانب الوظيفي دليل إعرابي في جزم المضارع الصحيح [١٤] .

وأول إشارة لرمز السكون ذكرها سيبويه في كلامه على وجوه الوقف: ((فللإشمام نقطة ،وللذي جرى مجرى الجزم والإسكان الخاء ،ولروم الحركة خطّ بين يدي الحرف ،وللتضعيف الشين)) [١٥] .

فكان رمز (الخاء) ميزًا للجزم والإسكان ،ثم اتخذ طريقه ليكون علامة على سكون البناء .وقد اطلقوا الوقف على الجزم تجوزًا ،كما قال ابن جني :((وكما يعبرّون بالفتح عن النصب ،وبالنصب عن الفتح ،وبالجزم عن الوقف ،وبالوقف عن الجزم)) [١٦]. فصار باب الوقف هو المبدأ في وضع علامة السكون. فيجد المتتبع في المدونة النحويّة وعلم القراءات أنّ الوقف من الإجراءات الصوتية ،والاساس فيه هو السكون [١٧].

المطلب الثاني: السكون علاماته وآراء العلماء فيه

ثم بعد طول الأمد بعلامة السكون ،ومن محاولات لأفهامها تغيرت صورتها . فيرى الأزهري (ت:٩٠٥هـ) احتمالات عدّة لأصل هذه العلامة ومنها :أنّه نقل عن أبي حيان أنّ علامة السكون خاء ،وأنّ سيبويه جعلها (خ) فوق الحرف ،اختصارًا لكلمة (خفيف) ،أو هي رأس جيم مختصرة من (اجزم) ،أوهي رأس ميم مختصرة أيضًا من (اجزم) ،أوهي رأس حاء وهي مختصرة من (استرح) ؛لأنّ الوقف استراحة ،أو هي دائرة كرمز الصفر ؛لأنّه لا شيء فيه من العدد ،أو علامة السكون دال ؛((وكأنّهم لما رأوها بغير تعريف ظنوها دالا))[١٨] . ويرى كمال بشر أنّه لما كانت تكتب الحروف من دون نقاط صار الخلط بين رمز الخاء والحاء

والجيم ،وقد ردّ على من خلط بين رأس الميم وعلامة الصفر بقوله :((ربما أوقعهم في هذا الخلط عدم معرفّتهم بهذا الرمز الأخير (علامة الصفر) ،أو عدم إدراكهم لقيمته)) [١٩] .

واستنادًا إلى ما ذكره سيبويه من رمز الخاء ،ربط النحويون بين السكون والتخفيف . فقد عُني سيبويه بصور الوقف ،وعلّل لاختيار تلك الصور ،سواء امتدّ الغرض عن رهان المعنى أم لضيق في النفس ،وقد غُيب الأول ،وعُني النحويون من بعد سيبويه بالثاني [٢٠] ،فالوقف للاستراحة [٢١] ،وقال ابن يعيش (ت:٦٤٣هـ) :((فالسكون هو الاصل والاغلب الاكثر لأنه سلب الحركة وذلك أبلغ في تحصيل غرض الاستراحة)) [٢٢] ،ولأنّ النحويّين كانت عنايتهم في الوقف بالكيف ؛فكانت الاستراحة محط عناية .

مع أنّ سيبوه لم يشر إلى هذا ((إذا كان سيبويه لم يشر إلى الاستراحة غرضاً في الوقف أو يربط بينهما وبين السكون على أنّه تخفيف)) [٢٣] .

فكانت (الخاء) علامة للجزم والإسكان في الوقف ،وأصبحت إشارة إلى ما ثبت مِن خفة السكون عند النحويّين من بعده ،بما اطلق سيبويه على باب "ما يُسكن استخفافاً وهو في الأصل متحرّك" ،أتى فيه ((وذلك قولهم في فخذٍ: فَخْذ ،وفي كبدٍ: كبْد ،وفي عضُد: عضْد ،وفي عَلِمَ: عَلْمَ ، وهي لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بني تميم)) [٢٤].

فمن شرح السيرافي (ت:٣٦٨هـ) لما ذكره سيبويه من علامات الوقف :((أمّا جعله الخاء لما أجري مجرى الجزم والإسكان فلأن الخاء أول قولك :خفيف ،فدلّ به على السكون ؛لأنه تخفيف)) [٢٥] .فشاع القول بخفة السكون .

فلم يبقَ الوقف بعد سيبويه لقبًا على مجرى من مجاري البناء ؛لأنّ السكون حلّ محله ،ليعبّر عن هيأة غير مفارقة لنهاية الكلمة في الوقف وفي غيره .فقد جاء :((فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه :إسكان مجرّد ،وإشمام ،وروم التحريك ،والتضعيف)) [٢٦].

وعدّ النحويّون الأساس في الوقف السكون ،قال ابن الجزري :((أصل الوقف هو السكون ،ويجوز الروم والإشمام عند جمع القرّاء ؛ورد النص بها عن أبي عمرو والكوفيين ،والمختار الأخذ بهما للجميع)) [٢٧].

فقد اطلقوا على الوقف مسمّى السكون ،ليكون مقابلا للحركات الثلاث (الفتحة ،والضمة ،والكسرة) . مع أنّها كلها ألقاب مجاز ((إذا قلنا في الحرف :إنّه متحرك أو ساكن فهو مجاز :لأنّ المراد من حركة الحرف صوت مخصوص يوجد عقيب التلفّظ بالحرف ،والسكون عبارة عن أن يوجد الحرف من غير أن يعقبه ذلك الصوت المخصوص المسمى بالحركة)) [٢٨] .

وتتبادر إلى الذهن عدة أسئلة، هي:

١-هل لقب الوقف بمعنى السكون يصدق نفسه على ألقاب البناء الأخرى (الضم والفتح والكسر) ؟

٢- بما أنّ (الحركة والسكون) سمة جسمية نقلت إلى اللغة على أساس أنّ الحركة عناء والسكون استراحة ،اين تتحقق هذه الاستراحة وفي أي صورة من صور الوقف هل هي في الإشمام أو الروم أو التضعيف أو الحذف ؟

٣- إذا نسبنا الوقف للتخفيف في قولنا :هذا أمجدْ ،هل يُقبل هذا في قولنا هذا بكرْ ؟ ألم يحصل خلط بين صورة السكون للتخلص من الكراهة نحو :(مُنْتَفْخاً) ،وصورة يكون السكون أثر في كراهتها نحو: (عضْد) ؟

٤- اختيار الإسكان من بين وجوه الوقف وأن تناسب مع الوقف والوصل ،ولكن التعبير به غرضًا لإسقاط عين كلمة ثلاثية هل يتناسب مع الحركة الحيويّة للغة ؟

المبحث الثاني: الخفة والثقل وعلاقتهما بالسكون:

وكان من نتيجة ربط النحويّين الخفّة بالسكون ،أن خلطوا بين صورتين :صورة يكون للسكون أثر في كراهتها نحو كبْد ،وعَضْد ،وبَكْر ؛إذ ذهبوا إلى أنّ الأصل فيها تحرّك العين وقد سكنت طلبًا للخفة. بالرغم من وجود نحويّين كانوا يحركون العين؛ لكراهة بعض العرب التقاء الساكنين نحو:(هذا بَكُرْ). وتوصلت الدراسات التي

أجريت على مجموعة من اللغات السامية ،إلى أنّ أصل الصورة هي :سكون العين ،وأنّ الصيغة (المحرّكة للعين) فرع من فروعها [٢٩] .

وصورة أخرى يكون السكون وسيلة للتخلص من الكراهة نحو :أراك منتفخًا ،وبات مُنتصبًا . ويفرض كمال بشر سؤالاً ليرد على أراء اللغويّين الذين خلطوا بين السكون والحركات ،وكان سؤاله :ما السكون ؟أهو صوت لغوي ؟ هل السكون حركة ؟ [٣٠] .

وكانت الإجابة :بأنّ السكون ليس صوتًا لغويًا ؛لأنّه لا يُنطق ولا يُسمع ،بذلك يكون خالي من العنصرين الأساسيين لكل صوت .فهو من الناحية الصرفية الصوتية لا ينتمي للأصوات ،فليس هو صوت صامت ،وانتفاء كونه صوتًا يدّل على استحالة كونه حركة ؛لأنّ الحركة لها صفات الأصوات.

فالسكون جانبان عنده :جانب النطق والتأثير السمعي ،فهو (عدم)،والجانب الآخر وظيفته في النظام الصوتي [٣١] .

فيرد على اللغويّين الذين تعرضوا للسكون من حيث الخفة والثقل بقوله :((فالسكون – في حقيقة الأمر– عدم أو (لا شيء) من الناحية النطقية أما التعرض له من حيث الخفة أو الثقل فقد أوقعهم فيما يناقض كلامهم ؛إذ الخفة وعدمها أمران مرتبطان بالنطق ،"والعدم " (والسكون) شيء لا ينطق بداهة)) [٣٢] .فيرى أنّ ما ذهب إليه النحويّون في السكون فيه تناقض واضطراب [٣٣] .

وردّ د. جواد كاظم عناد هذا الرأي بأنّه لم يقارب الأمر بمنهاجيّة استحضرت الثقافة التي وضعت على أثرها الظاهرة في نسق ونظام [٣٤] .

وأمّا الأستاذ إبراهيم مصطفى فيرى أنّ السكون أثقل من الفتح في النطق بقوله :((فخفة الفتحة في النطق ،وامتيازها على أختيها :الضمة والكسرة أمر جلي ،يؤيده البرهان من كل وجه .والذي نحاول أن نقره بعد ،هو أن الفتحة أخف من السكون أيضاً أيسر نطقًا .خصوصًا إذا كان ذلك في وسط اللفظ ودرج الكلام))[٣٥]. وهو بهذا الرأي يخالف من قال بخفة السكون ويورد عدّة مصاديق على ثقل السكون [٣٦] .

فتتضح عنايتهم بالكلمة بما يجري على الحرف الأخير عند الوقف ،فلم يتجاوزوه إلى انتماء الوقف المقطعيّ ،أو صورته بعد الوقف التي يمكن وصفها بالخّفة والثقل .

المطلب الأول: فهم مفارق للوقف بالسكون

تتضح من متابعة أثر الوقف على المقطع والصورة التي يتحول لها بعد الوقف هي التي يمكن أن توصف بالثقل أو الخفة ،فالوقف يؤثر على شكل المقطع [٣٧] ،مما يقتضى ذلك إلى تغيير المقطع في بعض الأحيان ،فلا يجوز الوقف على مقطع قصير مفتوح لذلك وجب تغييره ؛لأنّه مقطع مكروه ،مما اضطر إلى حذف حركته ،وإلحاقه بالمقطع الذي يسبقه ،ونحو ذلك في (ذَهَبَ) ،تتكون من مقاطع قصيرة مفتوحة ثلاثة /ذَـــ/هَـــ /بَـــ/ وعند الوقف عليها تتحول إلى مقطعين /ذَـــ/هَـــ ب/ ،ومثلها نستعين حيث تتحول إلى ثلاثة مقاطع بعد أن كانت أربعة.

ويؤدي الوقف إلى حذف التنوين عند الوقوف عليه ،فكلمة (بَدْرٌ) المتكونة من مقطعين :/ب ـــَ د /رُـــ ن/ ،تتحول إلى مقطع واحد عند الوقف /بَـــ د ر/ ،أمّا إذا كانت الكلمة منصوبة فتتحول إلى مقطع طويل مفتوح نحو /ب ـــَد/ رَـــ ـــَ/ بعد أن كان مقطع قصير مقفل بجامد .

وحين يؤدي الوقف إلى صوتين جامدين مجتمعين في آخر الكلمة ،فهو ممّا يستثقل ،ممّا جعل بعض العرب يميلون إلى تحريك الحرف الأول أمّا عن طريق نقل حركة الإعراب إليه أو باستعماله حركة الحرف الذي يسبقه ،ونحو ذلك في(بحر ،بكر) .قال سيبويه :((هذا باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرك ،لكراهيتهم التقاء الساكنين ،وذلك قول بعض العرب :هذا بَكْرْ ،ومِن بَكِرْ ،ولم يقولوا :رأيت البَكْرْ)) [٣٨] .

فهذا مقطع مستثقل انتجه الوقف ؛لأنّه مقطع قصير مغلق بجامدين (ج ذ ج ج) ،فلجأ العرب إلى اجتلاب حركة لتغيير شكل المقطع للتخلص من الاستثقال .

فكلمة (بَكْر) في الوقف تتألف من مقطع واحد مستثقل (ج ذ ج ج) ،أمّا عند نقل الحركة فسيتحول الأمر إلى مقطعين مستثقلين /ج ذ/ج ذ ج/ = /بَـــ/كِـــ ر/ .فلا يمكن اطلاق الخفة أو الثقل على الوقف

،ولكن يمكن أن نصف المقطع بالخفة أو الثقل بعد الوقف عليه ؛أي الحالة التي صار إليها المقطع بعد الوقف .

وكذلك من يرجع إلى أوائل اللغويّين وهو صاحب أول محاولة في العربية عبّر فيها عن هيأة للشفة حال النطق ،للوصول إلى وضع نقط الإعراب وهو أبو الأسود الدؤلي (ت:٦٩هـ) ،عندما أشار إلى الكاتب بأنّ ((إذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف ،وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله ،فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنّة فانقط نقطتين)) [٣٩] ،يجده لم يشر إلى ما عرّف بالسكون . فلم يكونوا يستعملون علامة للدلالة على الحرف الساكن[٤٠].

أما إذا رجعنا إلى كتاب سيبويه فسنرى أنّه لم يطلق (السكون) اسمًا على هذا الوجه من وجوه الوقف ،بل شبهه بصورة المجزوم والساكن بقوله :((فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه :بالإشمام ،وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن)) [٤١] .

ففرق سيبويه بين الوقف على أواخر الكلام الملقب بـ(السكون) ،ووقف آخر عُبّر به عن (السكون) على آخر كلمة وقعت في تركيب ،ثم علّل للوقف بالإشمام ،والروم ،والتضعيف بقوله : ((أن يفرقوا بين ما يلزمه التحريك في الوصل وبين ما يلزمه الإسكان على كلّ حال)) [٤٢] .

وبمثل هذا فعل ابن جني عندما بيّن علاقة الحركات القصار بالحركات الطويلة ،ولم يعرض للسكون ولم يربطها بالحركات حيث حصر الحركات بقوله :((اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد اللين ،وهي الألف والياء والواو .فكما أن هذه الحروف ثلاثة ،فكذلك الحركات ثلاث ،وهي الفتحة والكسرة والضمة)) [٤٣] .

أمّا علماء القراءة فقد بينوا بأنّ الحركات هي ثلاث ،ولا مدخل للسكون فيها ،كما صرح الداني بقوله :((وأما المُسكّن من الحروف فحقه أن يُخلي من الحركات الثلاث ومن بعضهن ،من غير وقفٍ شديدٍ، ولا قطع مسرفٍ عليه ،سوى استحباس اللسان في موضعه قليلاً في حال الوصل)) [٤٤] .

المطلب الثاني: أسباب القول بخفة السكون

والقول بخفة السكون جاء من شيئين هما :أحدهما نقل النحو من المعرفة إلى الصناعة .والآخر وقع في سياقين هما :التركيز على ما يجري على الحرف من الكلمة ؛لأنّ الكلمة الثلاثيّة المفردة أكانت فعلًا أم اسمًا ،تُسكّن لطلب الخفة بإسقاط حركة عينها ،والكلمة التي كانت على أكثر من أحرف ثلاثة فيؤول ،بما حدث للثلاثيّ .

فقد أخذَ بنقل النحو من المعرفة إلى الصناعة ،والتمثيل له في كتاب سيبويه ؛إذ حملت الحركة مضمونًا صناعيًا ؛لأجل الوصول إلى نظام محكم للغة فهي ((جزء من نظام ثقافي عام تحكمه ،في الغالب ،رؤية للعالم ذات طبيعة غائية لا تكتفي بوصف الظواهر)) [٤٥] ،بل تلتمس العلل والقياس وكما روي عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ (ت:١١٧هـ) أنّه ((أول من بعج النحو ،ومدّ القياس والعلل)) [٤٦] .

ومن آثار الصناعة ،أنّ أنتجت المشاكلة بين اللغويّ والطبيعيّ ،ومن أظهر تجلياتها عند النحويّين ،(ثنائية الساكن والمتحرك) في تعبير عمّا يعرض للحرف من السكون والحركة كما قال ابن جنيّ ((كالمحلّ للحركة ،وهي كالعرض فيه)) [٤٧] . وبعد استبدال نقط أبو الأسود بشكل الخليل (الحركات) .فكان بعده للسكون لقب وعلامة .

قال ابن خلدون عن عمل الخليل أنّه :((هذّب الصناعة ،وكمّل أبوابها ،وأخذها عنه سيبويه ،فكمّل تفاريعها ،واستكثر من أدلتها وشواهدها ،ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار إماماً لكل ما كتب فيها من بعده)) [٤٨] .

وسُئل المازنيّ :((لم قلّت روايتك عن الأصمعي ؟قال :رُميت عنده بالقَدَر والميل إلى مذاهب الاعتزال ،فجئته يوماً وهو في مجلسه ،فقال لي :ما تقول في قول الله عزّ وجل {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَر} [٤٩]؟ فقلت :سيبويه يذهب إلى أن الرفع أقوى من النصب في العربية ؛لاشتغال الفعل بالمضمر ،ولأنه ليس هناك شيء بالفعل أولى ،ولكن أبت العلامّة إلاّ النصب ،ونحن نقرؤها كذلك إتباعاً ؛لأنّ السنّة متّبعة ،فقال لي :فما الفرق بين الرفع والنصب في المعنى؟ فعلمت مراده ،وخشيت أن يغري العامّة ،فقلت الرفع بالابتداء ،والنصب

بإضمار فعل وتعاميت عليه)) [٥٠]. وعناية النحويّين بغرض الاستراحة كان من حرص أن يبقى النزوع معرفيًا ،فيبتعد عن أن يكون جزءًا من الصراع الذي كان الرّهان فيه على المعنى يقع تحت براثن السلطة.

الخاتمة:

١- لم يُشر الدؤلي إلى ما عرف بالسكون في النّقط الذي وضعه للإعراب .

٢- أول إشارة لرمز السكون جاءت في كتاب سيبويه علامة على وجه من وجوه الوقف ،وهو (الوقف بالإسكان).

٣- استعملت العلامة التي وضعها سيبويه كرمز لوجه من وجوه الوقف ،كعلامة للوقف ككل في التداول النحويّ ،ثم صار علامة على سكون البناء .

٤- وقد وضعت علامة (الخاء) لما أجري مجرى الجزم والإسكان في الوقف ،إشارة لما ثبت عندهم من خفة السكون ،بعد ربط التخفيف بالسكون .

٥- كان الوقف عند النحويّين فضلة بالنظر إلى أنّه موقوف عليه ؛إذ أنّهم درسوا وجوه الوقف فهتموا بكيفية الوقف. وتُركت أينية الوقف وغايته لعلماء الأداء .

الهوامش:

(١) ظ : مسند أحمد بن حنبل ،مؤسسة قرطبة ،القاهرة ،أول مسند الكوفيين :٣٧٩/٤ .

(٢) المكتفي في الوقف والابتدا ،عثمان بن عيد بن عثمان ،تح :جمال الدّين محمد شرف ،دار الصحابة للتراث بطنطا ،(١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م) : ٨٢ .

(٣) سورة المزمل : ٤

(٤) الإتقان في علوم القران ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ،تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر :الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(١٣٩٤هـ -١٩٧٤م) :٢٨٢/١.

(٥) سورة البقرة :١٢١

(٦) ميزان الحكمة ،محمد الريشهري ،ط١،مطبعة اعتماد ،الناشر :دار الحديث ،قم ، ١٤٢٢هـ ،رقم الحديث :١٦٥١٧ :٣٣٤٠/٨ .

(٧) الوقف والابتداء في القرآن الكريم (دراسة وتطبيق) ،عبد الرسول عبائي ،جمعية القرآن الكريم ،(بيروت –لبنان) ،(١٤٣٢هـ -٢٠١١م) :مقدمة المؤلف .

(٨) الكتاب كتاب سيبويه ،عمرو بن عثمان أبو بشر ،تح :عبد السلام محمد هارون ،ط ٣ ،الناشر :مكتبة الخانجي ،القاهرة (١٤٠٨هـ -١٩٨٨ م) : ١٥/١ .

(٩) معاني القرآن ،يحيى بن زياد (أبو زكريا ،الفراء) ،ط٣ ،عالم الكتب ،(بيروت – لبنان) ،(١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م) :١٩/١

(١٠) شرح كتاب سيبويه :الحسن بن عبد الله أبو سعيد ،تح :أحمد حسن ،عليّ سيد عليّ ،ط ١،دار الكتب العلمية ،بيروت : ٥/ ١٥٦ .

(١١) ظ :مفتاح العلوم ،محمد بن أحمد الكاتب (الخوارزمي) ،المنبرية ،١٣٤٢هـ :٢٩ .

(١٢) ظ :المفصل في صنعة الإعراب ،محمود بن عمرو بن أحمد أبو القاسم ،تح: د. علي بو ملحم ،ط ١، الناشر: مكتبة الهلال ، بيروت، ١٩٩٣م : ١٦٥ .

(١٣) ظ : أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ،عبد الله جمال الدين (الأنصاري) ، المكتبة العصرية (صيدا – بيروت) : ٣٨/١

(١٤) ظ :ظاهرة الإعراب وتطبيقها في القرآن الكريم ،د. أحمد سليمان ياقوت ،دار المعرفة الجامعية ،إسكندرية ،١٩٩٤م :٥٢. منقول عن مصدره .

(١٥) كتاب سيبويه :٣٩٩/١.

(١٦) الخصائص ،ابن جني ،تح :محمد علي النجار ،دار الهدى للطباعة والنشر ،بيروت :٤٦٩/٢ .

(١٧) ظ :الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو دراسة صوتية ،محمد المدني علي ،أطروحة دكتوراه ،كلية الدراسات العليا ،الجامعة الأردنية ،٢٠٠٤م :٥٦ .

(١٨) ظ :شرح التصريح على التوضيح ،الشيخ خالد تح :محمد باسل عيون السّود ،ط١ ،دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)،(١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) :٢/٣٤٣– ٣٤٤ .،والصبان على الأشموني :٤/١٥٦ .

(١٩) ظ :دراسات في علم اللغة ،كمال محمّد بشر ،ط ٩،الناشر :دار المعارف ،(القاهرة – مصر) ،١٩٨٦م :١٧٧ .

(٢٠) ظ :الوقف في المدونة النحوية :٧٠ .

(٢١) ظ :شرح شافية ابن الحاجب ،رضى الدين محمد بن الحسن (الأستراباديّ) ،تح :محمود نور الحسن وآخرين ،دار الكتب العلمية ،(بيروت– لبنان) ،(١٤٠٢هـ –١٩٨٢م) :٢/٢٧٤ .

(٢٢) شرح المفصّل ،موفق الدين يعيش بن علي ،الناشر :إدارة الطباعة المنيرية ،مصر :٩/٦٧

(٢٣) الوقف في المدونة النحوية :٧٠ .

(٢٤) كتاب سيبويه :٤/١١٣ .

(٢٥) شرح كتاب سيبويه ،الحسن بن عبد الله أبو سعيد ،تح :أحمد حسن ،عليّ سيد عليّ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط ١ ،٢٠٠٨م :٥/٤١ .

(٢٦) الأصول في النحو ،أبو محمد عبد الله بن أحم(د ابن السرّاج) ،تح :عبد الحسين القتلى ،بيروت .لبنان ،ط٣ ،(١٤١٧هـ ١٩٩٦م) :٢/٣٧٢ .

(٢٧) تقريب النشر في القراءات العشر ،تح :عطوة عوض ،ط ٢،دار الحديث ،١٩٩٢م : ٧٧ .

(٢٨) التفسير الكبير ،محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ) ،ط٣ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤٢٠ هـ :١/٥٥ .

(٢٩) ظ :صيغ الاسم الثلاثي المجرّد ،إبراهيم أنيس ،بحث في مجلة :المجمع المصريّ ،المجلّد: العاشر ،١٩٥٨م :٨٣– ٩٠ .

(٣٠) ظ :دراسات في علم اللغة ،كمال محمّد بشر ،ط ٩،الناشر :دار المعارف ،(القاهرة – مصر) ،١٩٨٦م :١٧٨– ١٩٣

(٣١) ظ :نفسه :٢٠٢

(٣٢) نفسه :١٩٦

(٣٣) ظ :نفسه :١٧٩ .

(٣٤) ظ :الوقفُ في المدوّنة النحويّة "تمرين على قراءةٍ في متنٍ قديم" ،أ. د. جواد كاظم عناد ،ط ١،الناشر :تموز ديموزي ،٢٠١٩م

:٢٩- ٣٠ .

(٣٥) إحياء النحو ،الناشر :مؤسسة هنداوي ،(القاهرة _ مصر) ،٢٠١٢م :٥٦ .

(٣٦) ظ :نفسه :٥٦ -٥٩.

(٣٧) ظ :المدخل إلى علم أصوات العربية ،غانم قدوري الحمد ،ط ١ ،دار عمار للنشر (١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م) :٢٥٦ - ٢٥٨ .

(٣٨) كتاب سيبويه :١٧٣/٤ -١٧٤ .و ظ :شرح المفصل ابن يعيش :٧١/٩ ،وارتشاف الضرب ،أبو حيان :٣٩٨/١ .

(٣٩) كتاب إيضاح الوقف والابتداء "في كتاب الله عز وجل" ، محمد بن القاسم بن بشار(أبو بكر الانباري) ،تح : محي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) :٤١/١ .

(٤٠) ظ :حَياة اللغة العربية ،الأستاذ حِفني ناصف ،ط ١،الناشر :مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد ،(١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م) :٩٧ .

(٤١) كتاب سيبويه : ١٦٨/٤ .

(٤٢) نفسه :١٦٨/٤ .

(٤٣) سر صناعة الإعراب ،أبو الفتح عثمان بن جنيّ (٣٩٢هـ) ، تح :د. حسن هنداوي ،ط١ ،دار القلم ، دمشق (١٩٨٥) :١٧/١ .

(٤٤) الداني ،شرح قصيدة أبي مزاحم ،نقلاً من :الدراسات الصوتية عند علماء التجّويد ،غانم قدوري الحمد ،ط ٢،دار عمان ٢٠٠٧،

م :٤١٨ .

(٤٥) التحديد في الإتقان والتجويد ،عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني ، تح: د. غانم قدوري حمد الناشر: مكتبة دار الأنبار – بغداد ،ط١ ١٤٠٧(هـ – ١٩٨٨ م) : ٩٧.

(٤٦) طبقات فحول الشعراء ،محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي ،أبو عبد الله (ت: ٢٣٢هـ) تح: محمود محمد شاكر الناشر: دار المدني ،جدة :١٤/١

(٤٧) سر صناعة الإعراب ،أبو الفتح عثمان بن جني ٠(٣٩٢هـ) ، تح :د. حسن هنداوي ،ط١ ،دار القلم ، دمشق (١٩٨٥) :٤٣/١ .

(٤٨) مقدمة ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد (ابن خلدون) ،تح :خليل شحادة ،ط ٢،دار الفكر ،بيروت ،(١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) :١ /٧٥٤ .

(٤٩) سورة القمر : ٤٩ .

(٥٠) ظ :كتاب سيبويه :١٤٨/١ ،وشرح السيرافي :٧/٢ -٨ ،لمعرفة الفرق بين القراءتين .تذكرة النحاة ،محمد بن يوسف أبو حيّان (ت:٧٤٥هـ) ،تح :عفيف عبد الرحمن ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،١٩٨٦م :١٣٠-١٣١ .

المصادر والمراجع :

-القرن الكريم .

١. مسند أحمد بن حنبل ،مؤسسة قرطبة ،القاهرة ،أول مسند الكوفيين.

٢. المكتفي في الوقف والابتدا ،عثمان بن عيد بن عثمان (الداني)،تح :جمال الدّين محمد شرف ،دار الصحابة للتراث بطنطا ،(١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) .

٣. الإتقان في علوم القران ،عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (السيوطي) ،تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(١٣٩٤هـ -١٩٧٤م) .

٤. ميزان الحكمة ،محمد الريشهري ،ط١،مطبعة اعتماد ،الناشر :دار الحديث ،قم ، ١٤٢٢هـ ،رقم الحديث :١٦٥١٧

٥. الوقف والابتداء في القرآن الكريم (دراسة وتطبيق) ،عبد الرسول عبائي ،جمعية القرآن الكريم ،(بيروت -لبنان) ،(١٤٣٢هـ -٢٠١١م) .

٦. الكتاب كتاب سيبويه ،عمرو بن عثمان أبو بشر ،تح :عبد السلام محمد هارون ،ط ٣ ،الناشر :مكتبة الخانجي ،القاهرة (١٤٠٨هـ -١٩٨٨ م) .

٧. معاني القرآن ،يحيى بن زياد (أبو زكريا ،الفراء) ،ط٣ ،عالم الكتب ،(بيروت - لبنان) ،(١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م) .

٨. مفتاح العلوم ،محمد بن أحمد الكاتب (الخوارزمي) ،المنبرية ،١٣٤٢هـ .

٩. المفصل في صنعة الإعراب ،محمود بن عمرو بن أحمد أبو القاسم (الزمخشري)،تح: د. علي بو ملحم ،ط ١، الناشر: مكتبة الهلال ، بيروت، ١٩٩٣م .

١٠. أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ،عبد الله جمال الدين (ابن هشام الأنصاري) ، المكتبة العصرية (صيدا – بيروت)
١١. ظاهرة الإعراب وتطبيقها في القرآن الكريم ،د. أحمد سليمان ياقوت ،دار المعرفة الجامعية ،إسكندرية ،١٩٩٤م .
١٢. الخصائص ،ابن جنيّ ،تح :محمد علي النجار ،دار الهدى للطباعة والنشر ،بيروت.
١٣. الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو دراسة صوتية ،محمد المدني علي ،أطروحة دكتوراه ،كلية الدراسات العليا ،الجامعة الأردنية ،٢٠٠٤م .
١٤. شرح التصريح على التوضيح ،الشيخ خالد (الأزهري) ،تح :محمد باسل عيون السّود ،ط١ ،دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) ،(١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) .
١٥. دراسات في علم اللغة ،كمال محمّد بشر ،ط ٩،الناشر :دار المعارف ،(القاهرة – مصر) ،١٩٨٦م .
١٦. شرح شافية ابن الحاجب ،رضى الدين محمد بن الحسن (الأستراباديّ) ،تح :محمود نور الحسن وآخرين ،دار الكتب العلمية ،(بيروت– لبنان) ،(١٤٠٢هـ –١٩٨٢م) .
١٧. شرح المفصّل ،موفق الدين يعيش بن علي ،الناشر :إدارة الطباعة المنيرية ،مصر .
١٨. شرح كتاب سيبويه ،الحسن بن عبد الله أبو سعيد(السيرافي) ،تح :أحمد حسن ،عليّ سيد عليّ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط ١ ،٢٠٠٨م .
١٩. الأصول في النحو ،أبو محمد عبد الله بن أحمد(ابن السرّاج) ،تح :عبد الحسين القتلى ،بيروت . لبنان ،ط٣ ،(١٤١٧هـ ١٩٩٦م) .
٢٠. تقريب النشر في القراءات العشر ،ابن الجزري ،تح :عطوة عوض ،ط ٢،دار الحديث ،١٩٩٢م .
٢١. التفسير الكبير ،محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ) ،ط٣ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤٢٠ هـ .
٢٢. صيغ الاسم الثلاثي المجرّد ،إبراهيم أنيس ،بحث في مجلة :المجمع المصريّ ،المجلّد: العاشر ،١٩٥٨م .
٢٣. الوقفُ في المدوّنة النحويّة "تمرين على قراءةٍ في متنٍ قديم" ،أ. د. جواد كاظم عناد ،ط ١،الناشر :تموز ديموزي ،٢٠١٩م.
٢٤. إحياء النحو ،إبراهيم مصطفى ،الناشر :مؤسسة هنداوي ،(القاهرة _ مصر) ،٢٠١٢م .
٢٥. المدخل إلى علم أصوات العربية ،غانم قدوري الحمد ،ط ١ ،دار عمار للنشر (١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م) .

٢٦. شرح المفصّل ،موفق الدين يعيش بن علي ،الناشر :إدارة الطباعة المنيرية ،مصر .
٢٧. ارتشاف الضرب من لسان العرب ،محمد بن يوسف بن علي بن حيان أبو حيان (الأندلسي) ،تح :رجب عثمان محمد ،مراجعة :رمضان عبد التواب ،ط ١،الناشر :مكتبة الخانجي ،(القاهرة –مصر) ،(١٤١٨هـ-١٩٩٨م) .
٢٨. كتاب إيضاح الوقف والابتداء "في كتاب الله عز وجل" ، محمد بن القاسم بن بشار(أبو بكر الانباري) ،تح : محي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق (١٣٩١هـ – ١٩٧١م) .
٢٩. حَياة اللغة العربية ،الأستاذ حِفنى ناصف ،ط ١،الناشر :مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد ،(١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م) .
٣٠. سر صناعة الإعراب ،أبو الفتح عثمان بن جنيّ (٣٩٢هـ) ، تح :د. حسن هنداوي ،ط١ ،دار القلم ، دمشق (١٩٨٥).
٣١. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ،غانم قدوري الحمد ،ط ٢،دار عمان ،٢٠٠٧م.
٣٢. التحديد في الإتقان والتجويد ،عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو(الداني) ، تح: د. غانم قدوري الحمد ،ط ١،الناشر: مكتبة دار الأنبار – بغداد ،(١٤٠٧هـ – ١٩٨٨ م).
٣٣. طبقات فحول الشعراء ،محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي ،أبو عبد الله (ت: ٢٣٢هـ) تح: محمود محمد شاكر الناشر: دار المدني ،جدة .
٣٤. سر صناعة الإعراب ،أبو الفتح عثمان بن جني ٠(٣٩٢هـ) ، تح :د. حسن هنداوي ،ط١ ،دار القلم ، دمشق (١٩٨٥)
٣٥. مقدمة ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد (ابن خلدون) ،تح :خليل شحادة ،ط ٢،دار الفكر ،بيروت ،(١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) .
٣٦. تذكرة النحاة ،محمد بن يوسف أبو حيّان (ت:٧٤٥هـ) ،تح :عفيف عبد الرحمن ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،١٩٨٦م.